العرب
الثلاثاء 2019/08/06
السنة 42 العدد 11430

الفلسطينيون في لبنان: أيتام على مائدة الممانعة

علي الأمين
كاتب لبناني

منذ أكثر من أسبوعين، يشهد لبنان سلسلة تحركات احتجاجية من قبل اللاجئين الفلسطينيين، ضد إجراء قامت به وزارة العمل اللبنانية، ينطوي على تنفيذ قانون إلزام اللاجئ الفلسطيني بالحصول على إجازة عمل. ورغم إعفاء الفلسطينيين من رسوم الإجازة إلا أنّ الاحتجاجات لم تزل مستمرة بدعم من قوى سياسية لبنانية، تطالب بوقف هذا الإجراء، ولعل أبرز ما أظهرته هذه الاحتجاجات أن التظاهرات الفلسطينية خرجت من أسوار المخيمات وانتقلت إلى خارجها ولاسيما مدينة صيدا.

لا أحد من اللبنانيين يشكك بالأوضاع الاجتماعية البائسة داخل المخيمات الفلسطينية، كما أن تنظيم العلاقة اللبنانية الفلسطينية هو حاجة لبنانية كما هو مطلب فلسطيني، خاصة وأن هذه العلاقة ظلت ولا تزال رهينة الحسابات الإقليمية؛ السورية في زمن الوصاية السورية سابقا والإيرانية اليوم، رغم الخطوات المهمة التي تم إنجازها خاصة على صعيد تشكيل لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني بعد الانسحاب السوري من لبنان عام 2005. على أهمية هذه الخطوة المؤسساتية على هذا الصعيد، ما لبثت الوقائع السياسية، أن كشفت أن القرار اللبناني والقرار الفلسطيني في لبنان، هما خارج هذه اللجنة وفي مكان آخر، وتحديدا في جعبة المسيطر، أي إيران وتحت إدارة حزب الله.

المأساة الفلسطينية والتي يعبر عنها حال الفصائل الفلسطينية اليوم، أنها تحولت إلى مجرد دمى تحركها «الممانعة» وتخضع لتعليماتها

في هذا السياق وفي مشهد يحفزُ على القراءة السياسية، استقبل قبل يومين، مسؤول الملف الفلسطيني في حزب الله النائب السابق حسن حب الله، وفد الفصائل الفلسطينية في لبنان وعددا من المنظمات والمجموعات الإسلامية الناشطة في مخيم عين الحلوة، مثل "عصبة الأنصار" و"الحركة الإسلامية المجاهدة"، للبحث في ملفات عدة منها قرار وزير العمل. والأهم في اللقاء، هو أن المجتمعين أشادوا بمواقف حزب الله، وأثنوا على دوره في مواجهة "المشروع الأميركي الصهيوني" فضلا عن موقفه المعارض لإجراءات وزارة العمل اللبنانية.

هذا اللقاء ممنوع على مؤسسات الدولة أن تديره، بمعنى أن الملف الفلسطيني يجب أن يبقى خارج دائرة العلاقات الرسمية بين الدولة اللبنانية والسلطة الوطنية الفلسطينية. وإلاّ ما معنى أن تفشل هيئة الحوار التي طلبت الاجتماع مع هذه الفصائل، فرفضت الأخيرة التجاوب بحجة "وجود وزير العمل في اللقاء". السؤال الذي يطرح، هل تستطيع هذه الفصائل بما فيها حركة فتح، رفض دعوة حزب الله للقاء؟ بالتأكيد لا تجرؤ، ولم تفعل ذلك وما فعلته، لكنها تملك الجرأة على عدم التجاوب مع مؤسسة رسمية معنية وطالما كانت هيئة الحوار اللبناني الفلسطيني، متهمة من بعض المسؤولين بأنها منحازة للاجئين الفلسطينيين في لبنان.

الكثير من المراقبين واللبنانيين عموما، أثارت انتباههم الاحتجاجات التي شهدتها شوارع مدينة صيدا وبعض المناطق الأخرى قبل أسبوع، لا رفضا أو قبولا لمبدأ حق الاحتجاج الفلسطيني تجاه أي قضية تعنيهم، بل لسبب آخر هو السماح الأمني غير المسبوق للفلسطينيين بالاحتجاج خارج المخيمات، وهذا لا يمكن أن يتم دون غطاء سياسي يقرره حزب الله بالدرجة الأولى، ولاسيما أن الفلسطينيين داخل المخيمات، وخاصة المنظمات التي تخضع لسلطة الرئيس محمود عباس أو المعارضة له، خاضعة إلى حدّ كبير لتوجهات حزب الله في ما يتصل حتى بإدارة أوضاع المخيمات الأمنية والسياسية، فممنوع على الفلسطينيين إنهاء حالات التسيب الأمني داخل المخيمات، ولا التوصل إلى صيغة موحدة ومرجعية فلسطينية واحدة تكون مسؤولة أمام الفلسطينيين وأمام الدولة اللبنانية.

هذا المسار من إدارة "الورقة الفلسطينية" والقائم على استراتيجية إبقاء المخيمات الفلسطينية منصة لتوجيه الرسائل الأمنية، كانت منهجية سورية اعتمدت طيلة المرحلة الممتدة من عام 1985 مع بدء حرب المخيمات إلى عام 2005، تاريخ خروج الجيش السوري من لبنان، حيث ورث حزب الله هذه المنهجية، وصار المرجعية الفعلية لتوازن القوى داخل المخيمات، وضابط الإيقاع الفلسطيني في لبنان.

ما يعزز هذه الحقيقة أن مختلف المنظمات الفلسطينية تتفق على العلاقة الجيدة مع حزب الله، وتتصارع في ما بينها وتقف في وجه الدولة إذا أراد حزب الله ذلك. لذا أن ترفض الفصائل الفلسطينية لقاء وزير العمل، ليس بطولة ذاتية بل استجابة لتعليمات "إلهية"، ولعل المشهد الذي كان فيه المحتجون الفلسطينيون يرفعون فيه أعلام حزب الله هو الأكثر تعبيرا عن الانسحاق الفلسطيني أمام رغبات حزب الله، وهو تشويه للهوية الفلسطينية حيث باتت الفصائل الفلسطينية تلوذ بعلم حزب الله ولا تجد في العلم الفلسطيني ما يغري على رفعه.

المدخل المهم لفهم هذه العلاقة يتصل بقضية محورية عنوانها السلاح داخل المخيمات. لقد ثبت من خلال الوقائع منذ أكثر من ربع قرن، أن الوظيفة الأهم للسلاح الفلسطيني في لبنان هي الاقتتال الفلسطيني، بعدما منع على الفلسطيني ولاسيما من قبل محور الممانعة، أي نشاط عسكري ضد إسرائيل، فالمقاومة هي عنوان للعبة المزايدات الداخلية ولتسجيل المواقف ولتأبيد البؤس في المخيمات الفلسطينية، كوسيلة من وسائل الابتزاز السياسي الداخلي اللبناني والإقليمي من جهة، ولإبقاء المخيمات مصدر تفجير ومنصة رسائل في اتجاه الخارج حين تقتضي الحاجة.

كانت السلطة الفلسطينية قد عرضت رسميا على الحكومة اللبنانية قبل عشر سنوات، وجددت الطلب قبل عامين، تنظيم مسألة السلاح الفلسطيني في لبنان، وأبدى أبومازن نفسه استعداد الجانب الفلسطيني لتسليم السلاح إلى الدولة اللبنانية، لكن المفارقة أن الرفض الفعلي كان لبنانيا، وتحديدا من قبل حزب الله كما أكدت ذلك مصادر رسمية فلسطينية، وليس من غاية وراء هذا الموقف كما تشير المصادر نفسها، سوى إبقاء الملف الفلسطيني رهن الاشتعال الأمني، وغبّ طلب الاستغلال السياسي من قبل الطرف المتحكم بالقرار اللبناني.

المأساة الفلسطينية في خضم الاحتجاجات الأخيرة، هو مشهد القتل المجاني في مخيم عين الحلوة، حيث أدت معارك شهدها المخيم قبل يومين إلى سقوط قتلى، فيما لا يزال السلاح يتدفق إلى المخيمات، علما أن المخيم أشبه بسجن مسور يخضع لحراسة مشددة من قبل القوى الأمنية والعسكرية الرسمية اللبنانية.

المأساة الفلسطينية التي يعبر عنها حال الفصائل الفلسطينية اليوم، أنها تحولت إلى مجرد دمى تحركها "الممانعة" وتخضع لتعليماتها، فيما الحقوق الفلسطينية من لبنان والحقوق اللبنانية على اللاجئين، عناوين محرّمة على المعالجة أو البحث الجدي. المأساة الفلسطينية في لبنان ليست في الحقوق المنتهكة، بل تتمثل في غياب القيادة الفلسطينية في لبنان، والتي جعلت الفلسطينيين كما اللبنانيين كالأيتام على مائدة اللئام، الذين يبحثون دوما عن مشترٍ جديد للبؤس الفلسطيني.

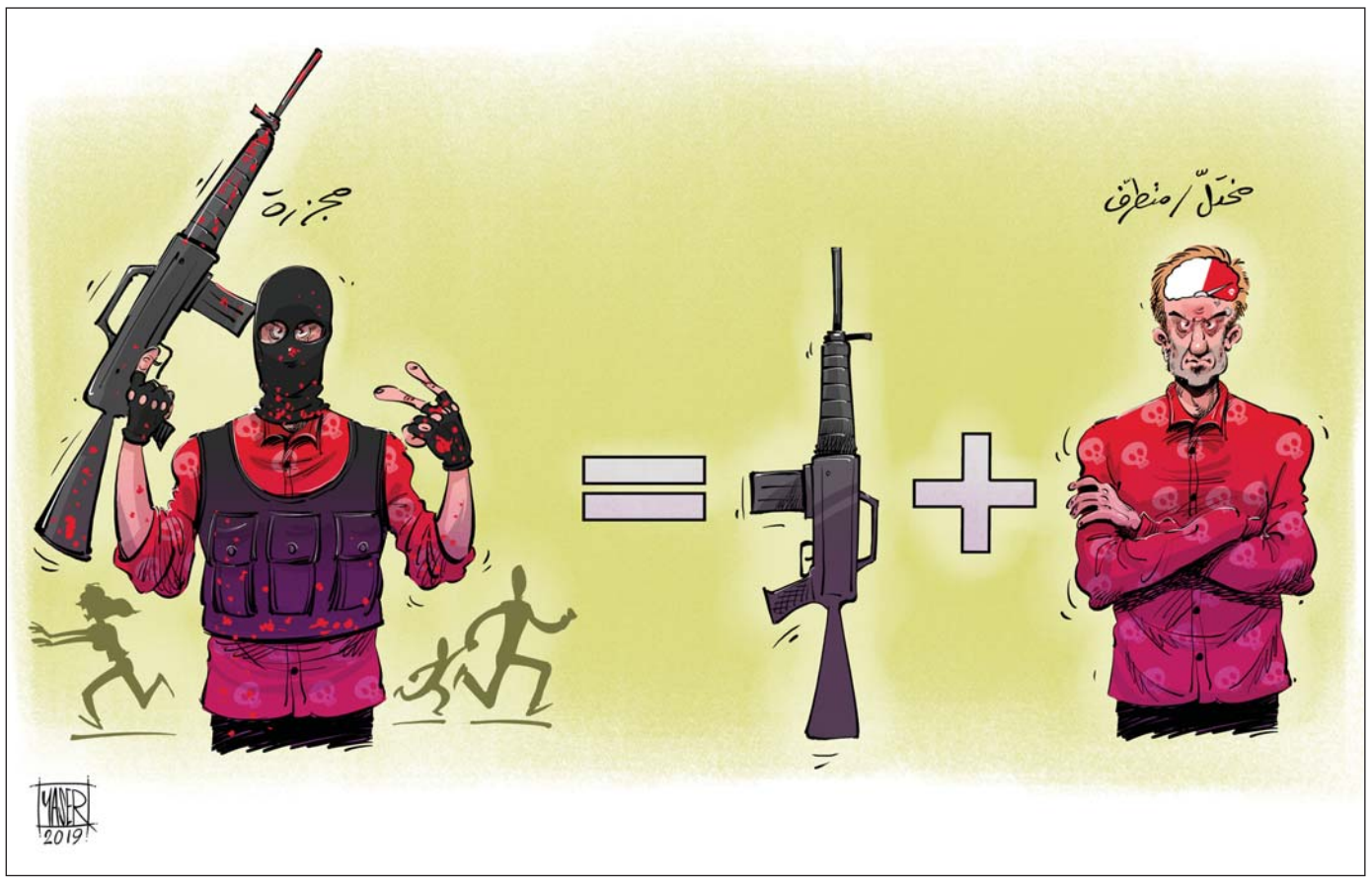

نحن والديناصورات

علي الصراف
كاتب عراقي

قد تكتب، ولكن لن يسمح لك الفقر والجهل والتخلف بالكثير. ولذلك لا تفرش سجادة الآمال ولا تزرع زهور التمني في طريق الحصى والأشواك الذي تمشي عليه.

في بيئة عربية مريضة، كالتي تعرفها، فنحن نكتب من أجل أن نكتب. إنه مرض. وليس بوسعنا أن نداويه، إلا "بالتي كانت هي الداء".

الأمر مختلف في بيئات أخرى. الإحصاءات المتاحة تشير إلى أن المواطن العربي ينفق 6 دقائق على القراءة كل عام، بينما ينفق الأوروبي 200 ساعة. ولا أعرف كيف يجوز أن نعتبر أنفسنا "أمة كتاب". كما لا أعرف ما هو العجب الذي جعل أمة بدأ كتابها بكلمة "اقرأ" وظلت لا تقرأ بعناد.

هناك محاولات نبيلة تبذلها بعض المؤسسات الثقافية الرسمية، في بلد عربي واحد هو الإمارات، من أجل التشجيع على القراءة وتداول الكتاب. وهي محاولات تنتمي إلى عالم الدقائق الست، بينما يغرق باقي العالم العربي في ديجور تام. توجد كهرباء. ولكن الظلام دامس هناك، ولا أعرف لماذا توجد كهرباء من الأساس.

لا نفع في جلد الذات أيضا. فهذا هراء جربناه طويلا، ولم ينته بيقظة وعي ولا حتى ضمير. الموتى لا يعانون من وخزات الضمير. يجب أن نترك مجرى المياه الآسنة يمضي حتى النهاية. القراءة ما لم تفرضها الحياة، فليس ثمة ما يدعو لمطاردتها. عندما يموت الموت، قد تنشأ بداية أخرى.

نحن أمة جهل. وهذا مفيد، لأنه يجعل انقراضنا أسرع. والانقراض السريع للأمراض السارية والمعدية، يخدم الإنسانية.

كتابنا محفوظ. لن يمسه شيء. وثمة أمم أخرى تقرأه وتغرق في تقديسه. والكثير من أبناء تلك الأمم يحفظون آياته، ويفهمونها رغم أنهم لا يجيدون الحديث بالعربية. شيء عجيب. ولكنه من سحر ذلك الكتاب نفسه.

ولدينا أدب هائل في جماله وبراعته وكمال بيانه. هو الآخر محفوظ بأمن وسلام. لا خوف عليه، ولا هم يحزنون. صحيح أن بعضه يتقادم، إلا أن هناك، من بعض أبناء "أمة الست دقائق"، من يجدون فيه نفعا، فيستلهمون منه ما يستلهمون.

الحياة تمضي، كما يمضي الموات. القراءة تتحول إلى عادة غريبة. شيء شاذ. وهذا حسن. نحن الشواذ، وإن كنا قلة زائلة، فإننا لن نقلق راحة أحد بإزعاجه بالحديث عن أي كتاب. ولا حتى القرآن. قال "أمة كتاب"، قال.

نحن لا نستحي. وهذا فيه من الإيجابية ما يجعلنا وقحين وأذلاء. وقاحتنا على الحق، وذلنا مع الباطل. وهذه من أفضل سمات الأمم التي يحسن أن تبتليها الحياة بكل الأمراض، أو أن تتحول إلى مكب نفايات.

لا شيء يمكنه أن يتغير. نحن نواجه أسئلة محرجة من قبيل "لماذا نتأخر ويتقدم الآخرون؟". ورغم كثرة الإجابات وتعدد مواردها، فقد بقينا بثبات وإصرار، نتأخر وكأننا في سباق مضاد مع حركة التاريخ. حتى تحوّل الأمر إلى منهج دعوي متفش يقترح علينا، بثبات وإصرار، أن نعود إلى الوراء.

وكلما قلنا له "يا أخ نحن في الوراء أصلا"، قال "لا، وراء الوراء، إلى يوم كان لدينا خلفاء". قلنا "يا أخ، مَنْ منهم؟ فثلاثة منهم قتلوا. وإذا اخترت واحدا، فلماذا لا تختار الآخر؟ ألا ترى أن 'وراءك' هو بحد ذاته مشكلة؟". قال "سوف نحلها بقطع الرؤوس، على طول الطريق، من هنا إلى هناك".

لقد أصبح الوراء أملا. ليس من ظلمة الحاضر وليس لأنه حل. ولكن لأن "أمة اللاكتاب" لم تر النور وأغلقت دفتي الكتاب. كل كتاب. شيء ما في جاهلية النفس جعل الظلمة هي السائد، وهي الأساس.

أفهل هناك أمل؟ لا يحسن بأي أحد أن يمارس الخداع. المستنقع الذي ظل راكدا لأكثر من ألف عام، سيظل راكدا لألف أخرى. تلك هي المصائر. إنها جافة كخشب قديم، حتى ينشأ جيل يتبرعم على قراءة واهتمام بالمعرفة، ويذهب إلى الصين بحثا عن العلم.

نحن نبحث الآن عن الجهل. ويهمنا قفا كاردشيان، أكثر مما يهمنا كيف تصنع هواوي جيل الاتصالات الخامس. سوف نستخدمه قطعا. ولكن من أجل أفخاذ هيفاء وأقدام ميسي.

من الخير أن نقطع الكهرباء. ونكف عن استخدام الإنترنت. أما "التلفون الذكي" فإنه إذ يحط بين أيدٍ غبية، فإنه لن يقدم فائدة حقيقية لأي أحد.

إحدى أهم ميزات التخلف، وأكثرها إنارة للفهم، هي أن أهل التخلف يُخلّفون كل ما هو متقدم قد يقع بين أيديهم. شيء يشبه الذي كلما وضع يديه على ذهب، حوّله إلى تراب.

ولقد خسرنا الكثير. كيان تافه مثل إسرائيل، قام على دعاوى سخيفة ونظريات وهمية وأعمال همجية، صار بوسعه أن يتحكم بمصائرنا، ويعرض علينا صفقات غبية. شيء عجيب فعلا. ولكن لا عجب. ذلك أن أمة اللاكتاب التي بدأت مواتها بالقول "اجهل" بدلا من "اقرأ"، كان من الطبيعي أن تنتهي إلى إثارة مشاعر الأسف والحسرة بين الناظرين إلى بقاياها من خلف زجاج متاحف التاريخ.

"هذا عربي من أمة لا تقرأ". يقول الديناصور المجاور. "لا تأسف" قال الآخر، "نحن لسنا وحدنا، إذن".

العرب وإيران، هذا هو الحل؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

يواصل النظام الإيراني تحرشاته ومحاولاته المستميتة لإشعال حرب في المنطقة يعتقد مرشدُه الأعلى ومستشاروه العسكريون والمدنيون بأنها مَخرجُه الممكن الوحيد من أزمته الاقتصادية الخانقة، ومن وعزلته السياسية والعسكرية التي وضعه فيها الرئيس الأميركي دونالد ترامب وحلفاؤه العرب والأوروبيون.

والذي يحمل المواطن العربي على الظن السيء بأميركا وأوروبا المتحالفة معها، والاعتقاد بأنهما ليستا جادتين في نزع أظافر هذا النظام وخلع أنيابه ومنعه من المزيد من التهديد والمشاغبة والمشاكسة هو أن كل المُعلَن عنه، هذه الأيام، لا يتعدى البحث عن وسائل تأمين سلامة ناقلات النفط الأميركية والأوروبية في الخليج، وحمايتها من تعديات الحرس الثوري الإيراني، رغم أنه ارتكب أمس، ويرتكب اليوم، وسيرتكب غدا، جرائم اختطافٍ وسطو خطيرة أصابت هيبة القانونً الدولي في مقتل، دون عقاب أو حساب.

وهذا يدفعنا إلى العودة إلى أصل الجريمة التي ارتكبها الغرب، (الولايات المتحدة وفرنسا بالتحديد)، بإسقاط نظام الشاه محمد رضا بهلوي، والمساعدة على إقامة جمهورية الخميني السلفية الطائفية المتشددة.

هذا مع الإقرار بأن الغزوتين الأميركيتين لأفغانستان وللعراق، والحروب المدمرة الدامية في سوريا واليمن ولبنان وفلسطين، وحرتقات الإيرانيين في البحرين ومصر وليبيا والسودان، لم تكن لتحدث لولا وضع الخميني في مقعد القيادة العليا المطلقة في إيران، وإطلاق نظريته الشريرة المسماة بـ"تصدير الثورة" إلى دول الجوار، والتي كان من ثمارها الأولى كوارث 11 سبتمبر، وما تبعها من جرائم إرهابية متعاقبة ثبت أنه هو المسؤول عن التخطيط لها، وعن تدريب القائمين بها، وتسليحهم وتمويلهم، دون سواه.

وحين ندقق في شريط ما حدث منذ ذلك التاريخ، قبل أربعين عاما وحتى اليوم، لا بدّ أن نصل إلى نتيجة مرعبة ملخصها أن هذه الجريمة هي أكثر وأشد وأخطر وأبشع من حروب كوريا وفيتنام، وحتى من قنبلة هيروشيما ذاتها، ومما أنزلته بأهلها من دمار.

وذلك لأن تلك الكوارث التاريخية الرهيبة التي شهدتها البشرية في العصر الحديث كان المتضررون بنيرانها، وبالشرر المتطاير منها، رغم كثرتهم وبشاعة صور قتلهم أو حرقهم داخل منازلهم أو مزارعهم، هم الساكنون فقط في ميادين تلك الحروب، مع قليلٍ من المقيمين في دول جوارهم، وفي أمدٍ زمني محدود بسنة أو ببضع سنين. ولكن لو كان ما ارتكبه وما يرتكبه النظام الإيراني من مجازر، وما أشعله، وما يسعى لإشعاله من حروب، وما نشره وما ينشره من مآتم لا يُصيب سوى العرب والإيرانيين وحدهم لتفهمنا أسباب البرود والمماطلة والمداورة التي ينتهجها الغربيون في مواجهته. ولكنه أصاب، وسوف يظل يصيب أقطارا عديدة، وشعوبا أخرى في العالم، ومنها مجتمعات أوروبية كانت حصينة وعصية على التفجيرات والمفخخات والانتحاريين، ومواطنون عسكريون ومدنيون بالآلاف من مواطني تلك الدول التي ساعدت على ولادته، وتعهدته بالرعاية والحنان.

والخلاصة أن العالم المتحضر الديمقراطي لم يضع نهاية لمسلسل جرائم نظام الخميني في عشرين سنة من القرن الماضي، ويبدو أنه لن يضع لها نهاية في القرن الواحد والعشرين. رغم أن الحل واضح وأبسط ما يكون، وهو إعانة المعارضة الحداثية الديمقراطية العلمانية الإيرانية على إسقاطه من الداخل، ودفن تاريخه وفكره وعقائده، كافة، وإقامة نظام بديل يؤمن بالوسطية والواقعية والاعتدال، ويقود المجتمع الإيراني إلى عصر التعايش السلمي مع دول المنطقة والعالم، ويُخلّص المواطن الإيراني من أوهام الماضي المتخلف البعيد الذي ما زال بعد 14 قرنا من الزمان ينادي بالثأر لدم الإمام الحسين من ورثة يزيد، وينتظر عودة الإمام المنتظر، ولكن بسفك دماء الملايين من الأبرياء، وزعزعة أمن الشعوب الآمنة، وخراب البيوت.